

قايين وهابيل .. وطريقة الذبيحة تكوين ٤

أصدقائي المستمعين ..

في المرة السابقة، في دراستنا في التوراة، رأينا كيف أن الله، بعد أن أخطأ آدم وحواء، بدأ يعلن خطته بشأن إرسال مخلصٍ إلى العالم، ليخلص نسل آدم من قوة الشيطان والخطية والجحيم.

ورأينا أيضاً، كيف أن الله نفسه ذبح بعض الحيوانات، وصنع ملابس من الجلد، ووضعها على آدم وحواء. وهكذا، عمل الله أول ذبيحة دموية. ونقرأ أيضاً، كيف أن الله أعلن أنه سيكون هناك مجموعتين من البشر على الأرض: هؤلاء الذين يرفضون تصديق كلمة الله، وأولئك الذين يصدقونها.

و اليوم، سنقرأ عن أول ابنين لآدم وحواء. قايين، الذي رفض أن يصدق الله، وهابيل، الذي صدق الله. وهكذا رأينا، أن آدم وحواء صاروا يعيشان الآن خارج فردوس جنة عدن. إذ طردهما الله بسبب معصيتهما. وبسبب خطيتهما، لم يعدا يستطيعان العيش في بركات جنة الفردوس. لقد أفسدت خطيتهما علاقتهما مع الله. ومع ذلك، كان الله لا يزال يحبهما ويهتم بهما. والآن، دعونا نقرأ التوراة، في الفصل الرابع من سفر التكوين.

يقول الكتاب:

“و عرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قايين. وقالت اقتنيت رجلاً من عند الرب. ثم عادت فولدت أخاه هابيل. وكان هابيل راعياً للغنم، وكان قايين عاملاً في الأرض”
(تك ٤: ١-٢)

لقد انجب آدم وحواء ابنين. وكانا من الخطاة مثل أبويهما. إذ امتدت خطية آدم إلى أبنائه مثل مرض معدي. فحبلت بقايين وهابيل بالخطية. هكذا يقول الكتاب:

“وولد (آدم) ولداً على شبهه كصورته.” (تك ٥: ٣).

لقد وُلد قايين وهابيل بطبيعة تميل إلى الخطية. ونما الولدان في الجسد، وازدادا في المعرفة. وأصبح قايين عاملاً في الأرض. وكان عاملاً جاداً، ولم يكن يخشى الأعمال الصعبة. أما هابيل فكان راعياً للغنم. وعرفا كلاهما عن الله. لقد علما أن الله موجود، وأنه قدوس، ويكره الخطية. ولكن، كان ينبغي أن يعرف كل منهما انه لكي يقتربا من الله، فإنهما يحتاجان أن يأتيا إليه عن طريق الذبيحة الدموية التي رسمها الله.

وجاء يوم في حياة قايين وهابيل عندما قررا أن يعبدا الله، ويقدم له قرباناً. وهكذا، يقول الكتاب: “وحدث من بعد أيام، أن قايين قدم من ثمار الأرض قرباناً للرب. وقدم هابيل أيضاً من أبقار غنمه ومن سمانها. فنظر الرب إلى هابيل وقربانه، ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر. فأغتاظ قايين جداً، وسقط وجهه.” (تك ٤: ٣-٥)

دعونا نتأمل فيما حدث ..

اثنان أرادا أن يعبدا الله. وكلاهما قدم قرباناً لله. لكن الكتاب يقول: “فنظر الرب إلى هابيل وقربانه، ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر.” فلماذا إذاً قبل الله قربان هابيل، ورفض قربان قايين؟ وماذا كان الفرق بين هذين القربانين؟

حقاً، إن قربان قايين وقربان هابيل مختلفان. لقد أحضر هابيل إلى الله دم خروف بلا عيب. فغفر الله خطايا هابيل، ولكنه لم يغفر خطايا قايين. لماذا غفر الله خطايا هابيل، الذي أحضر دم الخروف، ولم يغفر خطايا قايين الذي أحضر الخضروات والفاكهة؟ هل لأن الله لا يحب الخضروات والفاكهة؟ لا، لم يكن هذا هو السبب! لماذا إذاً حكم الله على هابيل انه بار وترك قايين في خطيته؟ نعم، هذا هو السبب: لقد أحضر هابيل القربان الذي كان يتطلبه الله، ولكن قايين أحضر شيئاً آخر. ما هو الشيء الذي كان يتطلبه الله لكي يستطيع ان يغفر ذنوبهم دون المساس بكمال بره؟ لقد كان الله يتطلب الدم - أي الحياة - حياة بلا عيب. لقد آمن هابيل بالله، وأحضر ذبيحة دموية، تماماً كما طلب الله. وهكذا يقول الكتاب: “بالإيمان قدم هابيل لله ذبيحة أفضل من قايين. فبه شهد له انه بارٌ إذ شهد الله لقرابينه.” (عبرانيين ١١: ٤) لقد آمن هابيل بالله، أما قايين فلم يؤمن به.

ماذا يعنى الإيمان بالله؟

الإيمان بالله هو الثقة فيه إلى حد إطاعة كلمته. إن الإيمان بالله هو أن نقبل كل ما يقوله الله كحقيقة لا تقبل الشك.

فإذا قلت: “أني أو من بالله”، وأنت لا تؤمن بما يقوله الله في الكتاب المقدس، إذاً، فأنت لا تؤمن حقاً بالله. فالله وكلمته شيء واحد. فإذا كنت تؤمن بالله، فستؤمن بكلمته وتطيعها. وإذا كنت لا تؤمن بما يقوله الله، فإنك ترفض الله نفسه.

وربما يسأل سائل: “لماذا أمر الله بذبائح دموية؟ لماذا قال الله: بدون سفك دم لا تحصل مغفرة؟” هذا هو السبب. تعلن شريعة الله المقدسة أن أجره أو عقوبة الخطية هي الموت، ولذا وجب سفك الدم. فلم يقل الله: “أجره الخطية تُدفع بفواكه وخضروات”، ولا قال أيضاً: “إن أجره الخطية هي الصلاة والصوم وعمل الأعمال الحسنة.” لا، بل ما قاله الله في قداسته هو أن الثمن المطلوب

للخطية هو .. الموت.

يوضِّح لنا الله، في كتب الأنبياء أن كل شخص من نسل آدم قد أخطأ، وأن كل خاطئ عليه دينٌ عظيم لله القدوس. ولا بد للخاطئ أن يموت، وأن يدفع دين الخطية هذا في الجحيم إلى الأبد. ودين الخطية هائل، ولا تستطيع أنت أن تأتي بما يكفي من الأعمال الحسنة لترد هذا الدين لله. فعقوبة الخطية هي الموت والجحيم. وهذا هو السبب في أن الأعمال الحسنة لا تستطيع أبداً أن تسد هذا الدين!

وهكذا، فإن غفران الخطايا لا يتأسس على خطة الإنسان، بل على خطة الله. فعلى أساس الذبيحة البدلية، فتح الله باباً للغفران والخلاص لأبناء آدم. ففي الأجيال الأولى، حكم الله أن كل خاطئ يجب أن يقدم حيوان بلا عيب ويذبحه. فالحيوان البريء يموت كبديل عن الخاطئ. فبسبب دم مثل هذه الذبيحة، كان يمكن على الله أن يتأنى على نسل آدم، ويستتر خطاياهم مؤقتاً. إلا أن دم الحيوان لم يستطع إلغاء دين خطية الإنسان؛ لأن قيمة الحيوان لا تساوي قيمة الإنسان. فلماذا يقول الكتاب أن الذبائح الحيوانية كانت هي مجرد “ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة الأشياء .. لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا.” (عب ١٠: ٤، ١)

وهكذا، فأهم ما ينبغي أن نتذكره عن الذبائح الحيوانية هو أنها كانت مجرد رمزاً أو مثلاً توضيحياً يشير إلى عمل المخلص الذي سيأتي إلى العالم ليدفع دين خطية نسل آدم. إن هذا المخلص الذي وعد به الله، سيموت “مرة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمة، لكي يقربنا إلى الله.” (١بط ٣: ١٨)

ولكن إرادة الله في الأجيال الماضية تطلبت ذبائح حيوانية. إلا أن قايين تجاهل خطة الله. إذ تقدم قايين بنهج آخر، بديانة من صنعه هو. لقد خلق قايين أول ديانة كاذبة. إذ أحضر إلى الله أعمال يديه هو. لقد قدّم قرباناً مما زرعه، أي من نتاج الأرض التي لعنها الله، النتاج الذي ليس فيه دم. فهل قبل الله تلك الذبيحة غير الدموية؟ لا، إن الله لم يقبلها!

أما بالنسبة لهابيل، فقد أحضر خروفاً بلا عيب، وذبحه كي ما يسفك دمه. وبعد ذلك، حرقه. وبسبب تلك الذبيحة، كان لهابيل ضميراً خالصاً أمام الله. فلقد كان هابيل يعرف في نفسه أنه مستحق الموت، ولكن الحيوان البريء قد مات بدلاً عنه. وهكذا، عبّر هابيل عن إيمانه بالمخلص العتيد أن يأتي إلى العالم؛ ليموت بدلاً من الخطاة، متحملاً عقاب خطاياهم.

ونود هنا أن نلخص قصة اليوم بأن نوجه إلى أنفسنا سؤالاً هاماً جداً:
“لماذا لم يقبل الله قربان قايين؟ هل كان قايين أكثر خطية من هابيل؟”

إن هذا ليس هو السبب. فكلُّ منهما كان خاطئاً في نظر الله، وكلُّ منهما قدم قرباناً لله. لكن الله رفض قايين وقربانه لأن قايين لم يحترم طريق التبرير الذي صنعه الله للخلاص. لا يستطيع أحد أن يأتي إلى الله إلا إذا أتى بطريق البر الذي رسمه الله. فطريق الله طريقٌ كاملٌ ومحدد.

وأنت يا من تستمع إلينا اليوم، هل تعرف ما تقوله كلمة الله فيما يخص الذبيحة المقدسة التي قدمها الله ليلغي دين خطيتك إلى الأبد؟ هل تعرف أن الله نفسه قد أرسل إلى العالم مخلصاً عظيماً، لكي ما تُغفر لك خطاياك، ويكون لك قلب طاهر أمام الله؟ في الدروس المقبلة، سنتعلم الكثير عن هذا المخلص العجيب. أما بخصوص هذا المخلص فيقول الكتاب: “ليس بأحدٍ غيره الخلاص، لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص.” (أع ٤: ١٢)

أصدقائي المستمعين ..

.. إلى هنا نأتي إلى ختام حلقة اليوم من برنامجكم “طريق البر”. وفي حلقتنا القادمة بمشيئة الله، سنستكمل دراستنا عن قايين وهابيل.

فليبارككم الله، وأنتم تتأملون في شريعته الأساسية: “بدون سفك دم، لا تحصل مغفرة.” (عب ٩: ٢٢)